Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والظروف الاجتماعية العامة . والعمل الأدبى بهذا يصبح – فى الغالب – نتاجًا لهذه العوامل . ولقد قام تين – فى البداية – بتطبيق نظريته هذه المتعلقة بالتاريخ الثقافى ، فى مقدمة لمقالة كتبها عن المؤرخ الرومانى ليفى (١٨٥٦) ، وبعد سلسلة من المقالات نشرها عن بعض الموضوعات الأدبية فى أول الأمر ، ثم عن بعض فلاسفة فرنسا فى القرن التاسع عشر ، نشر كتابه الذى اشتهر عنه « تاريخ الأدب الإنجليزى » (٦٣ /١٨٦٧) . ولقد أودع فى مقدمة هذا الكتاب أوضح بل أحسم عرض لمنهجه . أمّا أوسع خطواته نحو نظريته الجمالية ، فقد حققها فى كتابيه : « فلسفة الفن » (١٨٦٥) و « المثال فى الفن » (١٨٦٧) ، ثم يأتى كتابه « نظرية الذكاء » (١٨٧٨) ، الذى تحول فيه إلى علم النفس . أما كتابه « أصول فرنسا المعاصرة » (١٨٧٦ – ١٨٩٣) الذى لم يتمه بسبب موته – فقد حاول فيه أن يحلل شخصية الأمة الفرنسية ، ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر وحتى عصره . وكان يهدف من ذلك ، إلى دراسة الإنسان وهو فى إحدى أزماته الرئيسية .

ولقد حاول مونتسيكيو قبل ذلك بقرن فى كتابه « روح الشرائع » أن يكتشف الروح الموجهة فى مؤسسات الأمة . كما حاول الفيلسوف الإيطالى فيكو ، أن يناقش الأدب فى ضوء الدورات التاريخية . وفى بداية القرن التاسع عشر ، حاول الأخوان شليجل تفسير الأدب فى ضوء كل من الروح القومية ، والحقبة التاريخية . أمّا مدام ستايل ، فقد اهتمت – عن عمد – بصلة الأدب بالمؤسسات الاجتماعية . غير أن تين قد سار فى ذلك شوطًا أبعد ، بتنظيم منهجه ، وإضافة عنصر البيئة إلى تلك المعايير التى سبقته . ولقد حاول نقادتين – من حين لآخر – أن يطبقوا عليه هو نفسه منهجه ، واعتبروه نتاجًا لأمته وعصره وبيئته ، وأنه مثال متطرف للفلسفة الوضعية العلمية الفرنسية فى منتصف القرن التاسع عشر . وتكمن نقطة ضعف تين ، فى عدم مرونته عند تطبيق مبادئه : فنجده يلوذ بالصرامة الخالية من أية لمسة فكهة ، عندما يشرع فى إجراء عملية تحنيط المؤلفين ووضعهم فى التوابيت ، بما يذكرنا بتحنيط عينات الحشرات ، وكان يرمى بذلك إلى تزويق نظرياته . وهو – كما لاحظ سانت بيف نفسه – يتنقل خلال القرون بنظرة ثاقبة ، أشبه بنظرة الكيميائى فى معمله ، وهو يعمل بين بواتقه . أو كما قال هارى ليفن – من ناحية أخرى – إن مقدمة تين لكتابه « تاريخ الأدب الإنجليزى » يمكن اعتبارها – بمزيد من الإنصاف « بيانًا (مانيفستو) أكثر من كونها منهجًا علميًّا » ، وإذا ما رأيناها فى ضوء هذا التفسير ، فإن تصميم تين الحتمى يبدو بالضرورة « تطبيقًا مكثفًا للفضول العقلى الذى كان يسود عصره » . وعلى هذا ، فإن